

تقاطع علاقات المثلث

هادياسعيد

المكان إذ ينبغي لهذين الغبيين أن يبتعدا حالاً. أهذا زمن
الثرثرة وثمة من يلتقط لهاثها؟

- توفي والدها. ومراراً كانت تؤكد حاجتها للقائي. فأنا كما
تقول لم تدنسي علاقات المدينة، وجدي رسم للقرية درباً طويلاً
من النضال ضد الاقطاع، وأي كما تعلمين توفي في أقصى حدود
الوطن وهو يطبق على كتاب وقلم..

- أما زلت تحمل مطالب أمك؟
- ثلاثة لا غير: مدرسة لصغارنا وبذار لحقولنا وحق لتعينا.
بدأت العلاقات تتشابك، وثمة خطر يوشك أن يقع. المتربص
يجلس خلفها تماماً ويخرج الآن ورقة صغيرة وقلماً دقيقاً و...
و...

- ها أنت تعود إذن إلى مدينة اعتبرتها ذات يوم منفى.

- ولا أزال.
هي: (لم تترك السنوات أثراً حول عينيه. اكتفت بأن حامت
ببياضها فوق الفودين وأسقطت مقدمة الشعر الكث).

هو: (عرفتها منذ أحد عشر عاماً. عام واحد ثم غادرتها إلى
مدينة بعيدة قاسية بعد أن رفضت...).

- أتذكرين؟
- تلك الليلة المشؤومة، أليس كذلك؟

- كنت مخموراً....
- يا بنت، يا بدبعة، يا صاحبة القضايا، ثم، تلك الحركة
المستيرية والصراخ:

- اسمعوا أيها الإخوة، هذه المرأة رفضت ان تصبح
قضيي. سوف أنزل عليها لعني الأبدية.

- و.... أغادر إلى صحراء أضاعت واحاتها....
- هل تلقيت رسالتي؟

«أستحضرك الآن. ربما لأن ابتسامتك تعيد إلي أمني.
تزوجت، لكنها قضية خاسرة، فالزوجة التي توقعت طبيعتها

مصابة بالشيذوفيرينا. حدث ذلك بعد ثمانية أعوام من زواجنا.
أستطيع باختصار أن أقدمها لك: جميلة ذات ملامح قاسية، تلك

ماضياً ملوثاً لكن ذلك لا يثير لدي أي اهتمام.. لم تظهر عليها
أعراض المرض خلال سنوات زواجنا الأولى. كانت هادئة رغم

لو كان بمستطاعي التدخل لسارعت مهولة نحو الرجل الذي
سأحدثكم عنه وهمست له كي يرجع على التو وينزوي داخل
كتاب أو يضاجع امرأة يجبها أو... يفعل أي أمر يجلو له شرط
أن يحدث ذلك في مكان محكم الأقفال.. فثمة من يتربص به:

عينان ثابتتان وكف غليظة تقدح شرارة من قداحة ذهبية.
شخص شرس الملامح يتأرجح بخطاه عند منعطف الشارع.
أراه تماماً يراقبه بإلحاح عنيد. لكن الرجل الذي سأحدثكم
عنه يتابع سيره متدفقاً كنهر وجذلاً كطفل يجبو.

الشارع الملون ينهض في الخامسة مساءً ندياً ونشيطاً، وثمة
فتيات يحشن عن بريق يغمر أعناقهن وأناملهن، وسنط حوارات
لا بد منها مع بائعين مثقلين باليأس والتعب.

هديل اصواتهن يتبعثر، لكن الرجل الذي سأحدثكم عنه لا
يأبه، وعلى مسافة خطوتين من المتربص به يلقي نظرة ساهمة.
(أهذا زمن الأحزان وثمة من يقبض على عنقه؟).

- مساء الخير.
- ... أنت؟ .. إذن... وأخيراً؟

- بحثت عنك.
- لن تجسدي. أصبحت خارج المثلثات والدوائر
والمستطيلات.

- تزوجت؟
يسيران. لا أستطيع التعرف عليها تماماً. امرأة تبدو
مستقيمة الظهر والأطراف. شعرها مبتور عند العنق. خطواتها
عصبية حازمة. والمتربص بدأ يراقبها دون أن يبتعد عن
منعطف الشارع إلا خطوات.

الآن، سيجلسان إلى إحدى موائد الرصيف الأنيقة. المرأة
مرتبكة. أرى جانباً من وجهها: أنف شرقي واكتناز في الشفة
السفلى.

- وحيد؟ وأين...؟
- في غيبوبة دائمة. أودعتها مستشفى الأمراض العصبية لفترة
طويلة وربما.... ربما دائماً...

- أليست تلك التي قيل إن أمها..؟
- أجل، لا نزال معاً منذ عشر سنوات.

وصل الشخص وقده شرارته. ليت باستطاعتي اقتحام

فيما كنت أراقب توجيهه إلى مركز (...). رأيت « المعني » يلتقي امرأة ويجلس معها في المقهى وجلست خلفه وخلفها وطلب مني أن أشعل له السيجارة، فأشعلتها بقداحتي الذهبية، وسمعت المرأة تقول له إن هناك مكاناً له، وأعطته ورقة فيها معلومات وسمعته يقول إنه سيقى في هذه المدينة ثم شرب القهوة مع المرأة التي علمت أنها بيضاء وتعمل سكرتيرة وزوجها يشتغل طابعاً في جريدة وعلمت أن لها عشاقاً كثيرين وبعضهم من أمثال « المعني » وتلتقي بهم في شقق سرية، ولهذا سوف أستمع في المهمة. وربما أستطيع إنجاز التعليقات في إحدى الشقق وذلك في أقرب فرصة ممكنة.

ملاحظة: لم أقبض الدفعة الثانية من المبلغ: أرجو.....
لو كان بمستطاعي التدخل لسارعت ومزقت هذه الورقة. ولكن: هل أستطيع؟ هل بإمكانني أن أطلق الرصاص على صاحبها؟ الأحداث تقلت من يدي دوماً، ففي اللحظة التي غادر فيها المرصودان المقهى كان ثمة متربص آخر بدأ يراقب المتربص الأول. أتأمله ملياً: إنها توأمان. على أي أستطيع التدخل هنا لأكمل قصتي على النحو التالي:

يبدأ المتربصان الآن برصد أحدهما الآخر فيما يتابع الرجل والمرأة سيرها بصمت وهدوء، يمكنني أن أضيف أيضاً:
لا أتوقع الحرافة في العلاقات، فالقضية هي قضية توقيت وحسب.

نظرتها الخفيفة أحياناً. وذات مساء همست: أتحبني؟ قلت: بالتأكيد؟ قالت كاذب. أنتظر يوماً أن تنقض فيه عليّ وتقتلني. أكدت أني سأقتل نفسي أيضاً لو فعلت، سوف يكون لنا أطفال، سوف يوحدنا الأطفال في عائلة ولن نكون اثنين. وفي ليلة تالية صحت قبيل الفجر ففوجئت بها ترتدي بذلتي وتشد رباط عنقي، أصابتني قشعريرة وارتحف قلبي هلعاً: كانت تقرب مني بعينين تصرخان: سأشققك برباط العنق هذا ثم أبدله بآخر وأكون أنت وفي الوقت نفسه أكون أنا... يا صديقتي البعيدة الغائبة التي تحبيني بقريتي وأمي وحزن مساءات آخر أيام العطل. يا امرأة تبحث عن رجل ذي قضية، ها أني أجيء إليك بقضيتي الخاسرة فهل تفتحين ذراعيك؟

بدأ المتربص يتململ، نهض، اقترب منها، حاذها، أشعل للرجل سيجارة. أطلق على المرأة نظرة، لم يتنبها، سار المتربص بضع خطوات وتوارى خلف عمود كهربائي ضخم. حجبه جسر العمود للحظة ثم أضاءت شرارة ذهبية وجهه فجأة: عيناه جاحظتان مخيفتان تحرقان موجة الليل وقد بدأت تنسدل على الشارع.

لو كان بمستطاعي التدخل لسارعت ورسمت للرجل الذي حدثكم عنه تاريخاً آخر، لكنني أعتقد أن أقصى ما في استطاعتي هو أن أكمل ما حدث:

فتح المتربص ورقته وقرأ:

« سري. خاص. مستعجل ».

الغفلة الجديدة

مجلة فكرية ابداعية عربية

تصدر في المغرب

تشرف عليها جماعة من المثقفين التقدميين المغاربة

المدير المسؤول : محمد بنيس

الاشتراك في الدول العربية وأوروبا . ٥ درهما أو ما يعادلها

اشتراك المؤسسات المساندة . ١٥ درهما أو ما يعادلها

العنوان : ص.ب ٥٠٥ المحمدية - المغرب